المحاضرة 11: فن القصة في العصر الحديث

تعد القصة القصيرة من أهم الأشكال الأدبية، هي تلك التجربة الفنّية الجمالية التي يمارسها الكاتب، ليعالج فيها مواضيع الحياة اليومية المختلفة، ويتوجه بها إلى جمهور القرّاء، ليخلق جوّا من التفاعل بينه وبينهم، أو بين الذات والموضوع. فالبرغم من أنّها تتميّز عن الأجناس الأخرى السابقة لها كالشعر، أو اللاحقة لها كالرواية، إلاّ أنّها تتوفر على كافة عناصر القصة من زمان، ومكان، وشخصيات، وموضوع إلى حدّ تكاد تكون من أكثر الأجناس الأدبية حساسية في قراءتها للمجتمع.

1-مفهوم القصة:

لقد ورد مفهوم القصّة في معجم لسان العرب «مادة (قصص) تعني تتبع أثر الشيء، شيئا بعد شيء ونقله للغير، وتعني أيضا جملة من الكلام»[1]، وورد نفس المصطلح بمعاني مختلفة في القاموس المحيط منها «قصّ أثره قصاّ، وقصصا: تتبعه، والخبر أعلمه (فارتدى على أثرهما قصصا) أي رجع من الطريق الذي سلكاه»[2]. ولقد أورده جبور عبد النور في المعجم الأدبي على أنّه «أحدوثة شائعة، مروية أو مكتوبة، يقصد بها الإقناع والإفادة»[3]، وفي هذا التعريف الأخير نفهم أنّ القصّة نوعان: شفوية يتناقلها الناس شفاها في المجتمع، ويتوارثها جيلا بعد جيل. ولعلّها أبرز ما يشدّ وما يكوّن الأدب الشعبي _الشفوي_ ومن أجمل ما يجذب النفس لتعبيرها بعمق عن حالة شعورية، وظاهرة ثقافية غالبا ما تتعلّق بها، لتعكس لنا نمطا اجتماعيا معيّنا أو طريقة تفكير فئة ما. ومكتوبة معتمدة، تتميّز عن الأولى بصمودها وتحدّيها للزمان، إذ أنّ رسميتها وطباعتها تضمن لها عمرا أطول من القصّة الشفوية التي قد تندثر بفعل عوامل مختلفة كموت مؤلّفها، لتكون بذلك القصّة «فن قولي أو كتابي يقوم على حدث، ويتخلّله وصف يطول أو يقصر، وقد يشوبه حوار أو لا يشوبه، ويبرز فيه شخصية أو أكثر، محورية أو ثانوية، تنهض بالحدث أو ينهض بها الحدث، والحدث له بيئة خاصة، وله سياق ثقافي واجتماعي وسياسي، لا مناص للكاتب من أن يعيه ويستوعب تفاصيله وآدابه وتقاليده.

ويرمي ذلك كله إلى ترك انطباع واحد في نفس السامع أو القارئ»[4]، فإضافة إلى كون القصّة تنقسم إلى قسمين، فإن لها عدّة عناصر نذكر من أبرزها:

المكان: وهو «الموضع اللفظي المتخيّل، الذي تقع فيه الأحداث، وتتحرك فيه الشخصيات القصصية تصنعه اللغة لتوازي به مكان موجود في الواقع أو الخيال»[5]، فالمكان عنصر بنائي ومهم في بناء العمل السردي، فمن خلاله تتحرك الشخصيات وتدور الأحداث. إنّه الوعاء الذي يحتوي الحدث القصصي، فلا يمكن تخيّل قصّة بدون مكان.

الزمن: لا يقلّ الزمن أهمية عن عنصر المكان في السرد القصصي، إذ لا يمكن «أن نعثر على سرد خال من الزمن، وإذا جاز لنا افتراضا أن نفكر في زمن خال من السرد، فلا يمكن أن نلغي السرد، فالزمن هو الذي يوجد في السرد، وليس السرد هو الذي يوجد في الزمن»[6]، والزمن في العمل السردي _بما فيه القصصي_ ينطلق من الماضي إلى الحاضر فالمستقبل.

الشخصيات: وهي «كل مشارك في أحداث الحكاية، سلبا أو إيجابا، أما من لا يشارك في الحدث فلا ينتمي إلى الشخصيات، بل يكون جزء من الوصف. الشخصية عنصر مصنوع مخترع ككل عناصر الحكاية، فهي تتكون من مجموع الكلام الذي يصفها ويصوّر أفعالها، وينقل أفكارها وأقوالها»[7]، وتنقسم الشخصيات إلى:

شخصيات رئيسية: تلعب دورا بارزا ومهما في بناء، وسير الأحداث في القصّة.

وشخصيات ثانوية: يكمن دورها في مساعدة تحريك الشخصية الرئيسية، وذلك بتأييدها أو معارضتها.

الحدث: الحدث في الرواية هو «مجموعة من الأفعال والوقائع مرتبة ترتيبا سببيا»[8]، وهو الأساس الذي تبنى عليه الرواية، لأنّ جميع العناصر السابقة مرتبطة به، وبخاصة الشخصية فلا يمكن أن نتصور وجود شخصية في العمل الروائي بدون حدث، أو حدث بدون شخصية تمثّله، فالعلاقة بينهما علاقة تأثر وتأثير.

2- نشأة وتطور القصة العربية الحديثة:

اختلف الباحثون المحدثون في نشأة الرّواية العربية الحديثة، فهناك من قال بأنّها وليدة لتراث القديم واستمرار له، وهناك من ينفي أيّ صلة تربطها به، وأنّ ميلادها ناتج عن الاحتكاك بالغرب ونقل نتاجه إلى العربيّة، وإذا تفحّصنا في القصة العربية كفنّ جديد يختلف ع القديم، يتّضح لنا أنّها مرّت بثلاث مراحل أساسيّة، تميّزت كلّ مرحلة عن الأخرى بسماتها وأنواعها، فما هي هذه المراحل؟

أ- مرحلة التقليد والتعريب (1914/1850): رغم انكار البعض للصلة التي تربط بن القصة كفنّ أدبي حديث والتراث القديم عند العرب، إلاّ أنّ هذا الارتباط حاضر بشكل بارز في صياغة الشكل والمضمون، إذ بدت القصة متأثّرة في بداياتها بالأنواع القصصيّة المأثورة كالتراجم والمقامات في "حديث بن عيسى بن هشام" للمويلحي عام 1900م، حيث يبدوا التأثّر واضحا في العناية بالأسلوب، والأحداث التي يعيشها البطل في اتصاله بالشخصيات الأخرى، بالإضافة إلى الأثر الغربي الحاضر من حيث تنويع المناظر، وتسلسل الحكاية، وبعض ملامح التحليل النفسي.

لقد ساد التّأثر بأسلوب المقامة لفترة طويلة، بسبب محاولة الكتّاب بناء أسس القصّة الجديدة على أساليب القصة القديمة حرصا منهم على عدم ضياع تراثهم، فأصدروا مؤلفات على منوال المقامات متأثرينّ بالقالب، ومن أمثلة ذلك: "عذراء الهند" لأحمد شوقي عام 1897 موضوعها الإشارات إلى تاريخ مصر القديم، و"ليالي سطيح" لحافظ إبراهيم التي كانت بمثابة انتقادات لأوضاع مصر، و"ليالي الروح الحائر" 1907 لمحمد لطفي جمعة انتقد فيها الظروف الاجتماعية لمصر.

وفي القرن التاسع عشر ظهرت موجة جديدة في الأدب القصصي الحديث، من خلال ترجمة القصص الغربية التي برزت في مصر ولبنان أمثال سليم البستاني الذي يعدّ الرائد الأول لهذا التيار، حيث ألّف عددا هائلا من القصص في فترة قصيرة (1848-1884) تنوّعت مواضيعها

بين التاريخ والاجتماع، باعتباره كان صحفيّا، ومن بينها قصة: الهيام في جنان الشام1870، زنوبيا 1871، بدور 1872، أسماء 1873، فاتنة 1877...هذا ما جعل من أسلوبه القصصي البسيط ضعيف قريبا إلى مستوى الرّكاكة أحيانا.

ومن أعلام هذه المرحلة فرح أنطوان (المدن الثلاث، الوحش الوحش الوحش، أورشليم الجديدة)، نكولا حداد (النص الشريف، كله نصيب، آدم الجديد، حواء الجديدة)، يعقوب صروف (فتاة مصر، أمير لبنان، فتاة الغيوم)، لبيه هاشم (قلب الرجل)...وما يمكن استخلاصه من هذه المرحلة أنّ جلّ الأعمال القصصية التي كتبت فيها هي تقليد للقصة الغربية، طغى عليها السرد التاريخي أو الاجتماعي دون الارتباط بمذهب معيّن وواضح، كما أنّ مهنتهم الأساس هي الصّحافة حيث كانوا يصدرون مجلات شهرية، وكانت القصة المتسلسلة تمثّل جزءا منها، ولهذا كان العمل الصحفي تنقصه فنّية العمل.

وتجدر الإشارة إلى تجربة مهمّة في هذه المرحلة، تمثّلت في جهود الرّوائيين المهجريين، الذين أُتيحت لهم فرصة الاطلاع على النماذج القصصيّة الغربية، فتأثروا بها وكتبوا على منوالها، مما جعلها تنفرد عن النماذج القصصية العربية، ومن أبرزها: انتاجات جبران خليل جبران (عرائس المروج 1906، الأرواح المتمردة 1908، العواصف 1910، الأجنحة المتكسرة 1912) التي كان لها طعم جديد، بدى فيها روح التمرد على عوامل الجمود وموانع التطور.

ب- مرحلة التكوين والابداع القصصي العربي (1939/1914):

تعدّ فترة ما بين الحربين مرحلة تكوين الأدب القصصي والروائي عند العرب، أسهمت التغيرات التي حدثت فيها من خلق جو جديد مختلف عن سابقه، وتطلبت بناء وأسلوبا جديدا للتعبير عن هذه التحولات. ومثلما مثّل اللبنانيين ريادة الفترة الأولى، في هذه المرحلة انتقلت الرّيادة إلى المصريين، بفضل الجيل الجديد الذي تعرّف وانفتح على الثقافة الغربية، واطّلاعهم على إيديولوجيات التّحرر والاستقلال، فشكّلوا أحزاب سيّاسيّة ومنظّمات جديدة تهدف بالوعي السّياسي والاجتماعي والتّحرر الوطني. كما أسّسوا صحفا تبثّ الاعتزاز بالشّخصيّة المصرية

والروح الوطنية في الشّعب حرصا منهم على إحياء التاريخ المصري القديم لبثّ روح الأمل في الشعب والخروج من التّخلّف الذي يحسونه مقارنة بالبلدان الأوربية، لذلك وسّعوا في نشر الصّحف والمجلات، وغيّروا في المناهج والمنظمات التّعليميّة ونسّقوه حسب المناهج والمنظّمات الغربية، وانتقدوا كل من العادات والتقاليد التي تمنعهم من التطور والرقيّ.

أخذت القصة العربية بعد الحرب العالمية الأولى طابع المحلية والقومية، وبدأت تصوّر فئات من المجتمع العربي بغية تحسين فضاء المجتمع، فظهرت مجموعة من الكتّاب صوّروا مجتمعهم أيّما تصوير، أمثال طه حسين الذي لعب دورا كبيرا في إرساء قواعد الفنّ القصصي ومن أعماله: "الأيّام 1929"، و"أديب 1935" انتقد فيها القضايا الاجتماعية والتعليميّة والتربوية في المجتمع المصري، و"دعاء الكروان 1941. إلى جانب توفيق الحكيم الذي عمل على تصوير الواقع والمشكلات الاجتماعية، من خلال أعماله: "عودة الروح 1931" و"يوميات نائب في الأرياف 1937"، و"عصفور في الشرق1938".

ومن أبرزهم أيضا محمود تيمور الذي اهتم بقضايا ما وراء الطبيعة، والروحانيات، والميتافيزيقا، وقد تأثّر كثيرا ب "موباسان" واحد من أبرز رواد الفن القصصي الفرنسي، كما تأثر قبله بالمنفلوطي، وتعدّ قصّته "في القطار" التي نشرها عام 1917، وقصة "العاقر" لميخائيل نعيمة فاتحة ميلاد القصة القصيرة في العصر الحديث، ثم ظهرت أسماء أخرى أخذت بيد القصة نذكر منهم: محمود الطاهر لاشين، ويوسف إدريس، والأخوين عيسى عبيد وشحاته عبيد وغيرهم. لكن يبقى محمود تيمور أغرز معاصري الأبداع القصصي الحديث، عبّر عن الطبقات المحرومة، والمهمشة أصدق تعبير، وتبرز العبقرية عنده في كونه استطاع أن يبرز ملامح القصة الفنّية، بكونها "بناء محكما ومعالجة عميقة ولغة متينة وشخصيات ناضجة مرسومة رسما عميقا يكشف عن عوالمها الداخلية ويبين نوازعها وخلجاتها النفسية، ولهذا عدّه الدارسون أكبر كاتب للقصة القصيرة في العالم العربي".

ج- مرحلة تأصيل القصة العربية:

تمثّل المرحلة الأخيرة في تطور القصة، وهي قمّة المراحل، أتاحت فرصة الاطلاع على المناهج وطرق البحث العلمي والأكاديمي للكتّاب، وخاصة اطّلاعهم على اللّغات الأجنبيّة والدراسات الواسعة في ميادين الادب والقصص والفروع المختلفة للفكر الأوروبي بلغاته الأصليّة، وكان للجامعة المصرية الفضل في ذلك، إذ هيّأت المناخ المناسب، اهتّمت بأنواع العلوم كعلم النفس والفلسفة والاجتماع والتاريخ، ضف إلى ذلك الدعوة إلى الحرية في التفكير والإشادة بالقيم الديمقراطية التي عثني بطرحها الأساتذة الجامعيون، وهذا ما أسهم في اخراج جيل جديد من الكتّاب اتّجه في كتاباته نحو الواقعيّة، مستعينا بالعقل والمنطق في التعبير عن الأحداث، بعيدا عن النزعة الرومانتيكيّة. وقد أطلق عليهم "جيل الجامعيين" كونهم من خرجي الجامعة، منهم: علي أحمد بكتير، وعبد الحميد جودة، ويوسف السباعي، وإحسان عبد القدوس، ويوسف إدريس، ونجيب محفوظ، وعبد الرحمن منيف وغيرهم. وأهمّ ما ميّزهم أنّهم حاولوا التّخلص من العيوب التي لازمت قصص الفترات السابقة من لناحية الفنّية، كما حاولوا التخلص من عقدة الانبهار والاعجاب بالثّقافة الغربيّة، وتشكيل فن قصصي عربي، لكن رغم ذلك إلاّ أنّها لا تزال تحتاج إلى تطورات واكتمال في بنائها الفنّي.

3-القصة في المغرب، القصة الجزائرية أنموذجا:

1-أسباب تأخر ظهور القصة في الجزائر:

- انحصار مفهوم الأدب قديما على الشعر، ما جعله يهيمن ويطغى على الأعمال الأدبية الأخرى ويغيّبها، لسهولة حفظ القصيدة وتناقلها شفاها، عكس الفنّ النثري (القصة) التي تستغرق وقتا أطول وتفكيرا أعمق، على غرار وسيلة تسمح بنشرها وتوصيلها للقارئ، وهو ما لم تسمح به الظروف الجزائرية أنذاك.
- تدهور الأوضاع السياسية وجعل المستعمر طمس الهوية الوطنية هدفا له.

- تأخر النهضة الأدبية في الجزائر بحكم الاستعمار دائما الذي منع اللغة العربية، وحظرها ليجمّد بذلك الإبداع الأدبي بشتى أنواعه، بحيث ظهر في الجزائر تياران، تيار عربي وتيار غربي «اتّخذ اللغة الفرنسية أداة للتعبير، فقد نشأ متأخرا مع أنّه كان من المفروض أن تنشأ القصّة الجزائرية بالفرنسية مبكرة بالنسبة إلى القصّة الجزائرية بالعربية لأنّ اللغة الفرنسية كانت هي السائدة في الجزائر منذ توغّل الاحتلال وسيطرت اللّغة الفرنسية على التعليم والثقافة، أما التّيار العربي فقد وُلد متأثّرا بالثقافة العربية واتّخذ اللغة العربية أداة للتعبير وظهر بظهور الحركة الاصلاحية»[9] مع نخبة من المصلحين، من أبرزهم: أحمد بن عاشور، أبو القاسم سعد الله، وأحمد رضا حوحو...وغيرهم.
- كون المجتمع الجزائري مجتمع محافظ، غيّب عنصر المرأة التي كان ينظر إليها نظرة تزمّت، فصوتها كان حرمة في الشعر، ناهيك عن القصة التي لم تكن ترقى إلى درجة التصنيف كنوع أدبي أن تصف العلاقة بين الرجل والمرأة، فحتى «الذين كتبوا الصورة القصصية وعالجوا هذه الموضوعات لم يجرؤا على ذكر اسمهم الحقيقي، وإنّما كانوا يوقّعوا بأسماء مستعارة مثلما كان يفعل محمد العابد الجيلالي الذي كان يوقّع صوره القصصية باسم مستعار وهو رشيد»[10]، فالمرأة كانت «تعيش في وضع منغلق لا يسمح، لها بالتأثير في الحياة الثقافية تأثيرا إيجابا، لأن الحجاب المضروب عليها كان يمنعها من الاختلاط بالرجل ومُنع الرجل من أن يتحدث عنها شعرا أو نثرا»[11].
- انتشار الأمية، وقلة دور النشر مما أدى إلى اضعاف حركة التأليف.
- غياب النّقاد المهتمين بالفنّ القصصي شكلا ومضمونا، وضعف حركة الترجمة.
- اهمال الأدب الرسمي المعتمد (القصة)، والتوجّه إلى الأدب الشعبي بما فيه القصة الشعبية التي وعلى «اختلاف مضامينها وأساليبها وأشكالها لعبت دورا واضحا في ملء الفراغ الأدبي في فترة ضعف فيها الأدب العربي كما أنّها عّبرت عن روح الشعب الجزائري وتعلّقه بماضيه ودفاعه عن وجوده وكيانه»[12].

2-عوامل تطوّر القصة القصيرة في الجزائر:

شهد الأدب الجزائري في أواخر العقد الثالث انتعاشا على مستوى الفنّ القصصي، لتبدأ بواكيره وفقا لمجموعة من العوامل والمؤثّرات أبرزها:

- حرص جمعية العلماء المسلمين بفضل حركتها الإصلاحية على احياء، وإنقاذ اللّغة العربية من الضياع والاندثار، والنهوض بالأدب الجزائري، وقد قامت في سبيل ذلك بإرسال بعثات علمية إلى المشرق العربي، أين وجد الكتاب ضالتهم. فالمشارقة بحكم ظروفهم التاريخية «استطاعوا أن يكونوا سباقين إلى الاغتراف من ينبوع الثقافة العربية التراثية والعصرية، فإنّ الجزائريون كانوا أوّل الأمر في موقف الأخذ من الثقافة العربية المشرقية، فعلى الرغم من وجود كثير من الذين كانوا يتقنون العربية إلى جانب الفرنسية من الجزائريين، فإنّهم كانوا شديدي الحذر من الاغتراف من الثقافة الغربية، فكانوا يلتمسون متاعهم الروحي في الأدب العربي المشرقي، على الرغم من أنّه لا يغدوا أن يكون قد استمدها من التراث العربي القديم أو التراث العربي الحديث»[13].
- دور الصحافة الجزائرية في توعية الشعب الجزائري، ومحاولة تذويب الجمود الفكري الناتج عن السياسة الاستعمارية، والعمل على اسماع صوتها خارج حدود الجزائر.
- الثورة التحريرية التي كانت حافزا مهما، دفع الأدباء إلى القصة القصيرة «فلما جاء الله بالثورة الجزائرية العظيمة، وتشتت الجزائريون في اصقاع من الأرض شذر مذر وكان لهم في الوطن العربي متبوأ ومقام وكان لهم مع أهلية امتزاج وامتشاج، أخذوا يقرؤون القوم فيعز عليهم أن يقرؤوا دون أن يكتبوا لهم مقابل ذلك عن ثورة التحرير التي كان العالم يرقب مسيرتها خطوة خطوة، ويتابع حركتها وجهة وجهة، فأنشأت طائفة من هؤلاء المثقفين المهاجرين هنا وهناك من الوطن العربي يعالجون في القصة بدافع

التعرّف بالثورة الجزائرية»[14]، التي فجّرت الحماس في نفوس الأدباء ليكتبوا عن نضال الشعب الجزائري، ومقاومتهم لنيل الحرية والاستقلال.

- انفتاح العقلية الجزائرية، وتخلصها من التّشدد نتيجة احتكاكها بالآخر (المشرق والغرب).

3-مراحل تطور القصة القصيرة:

قبل أن تصل القصة القصيرة مرحلة تطورها، مرت بمرحلتين مهمتين هما:

- **المقال القصصي:** يمثل بداية القصة القصيرة، إذ تميّز «ظهوره بكونه مزيجا من عدّة أنواع أدبية كالمقامة والرواية والمقالة الأدبية، وبأنّه تأثر بشكل مباشر بالمقال الديني الذي عرف ازدهارا كبيرا على يد رجال الحركة الاصلاحية مثل: ابن باديس والبشير الابراهيمي...»[15]، الذي كان يسير في اتجاه الحركة الإصلاحية.

ويفتتح المقال القصصي بمقدمة خطابية، يقوم فيها الكاتب بسرد الأحداث ووصفها، ليختمه بتأكيد الهدف أو الفكرة التي من أجلها يكتب. ليعرف بعد ذلك المقال القصصي تطورا على مستوى الشكل والمضمون، «فأخذ ينتقد مظاهر الحياة الاجتماعية المختلفة والتقاليد البالية التي تعوق تطور المجتمع كما أخذ يشرح مزايا الحضارة العربية الإسلامية بالمقارنة بينها وبين حضارة الغرب المادية، وتطور أيضا من جهة الشكل والأسلوب واللغة بحيث أصبح الحوار هو السمة الغالبة عليه»[16]، لتكون «دمعة على البؤساء لعلي بكر السلامي أول عمل قصصي نشر في الشهاب في عددي 18 و19 أكتوبر 1926، ولهجته تتماثل مع لهجة الإصلاحيين حيث تهاجم الطريين، وتتهمهم باستغلال الشعب لمآربهم الذاتية»[17]. ضف إلى ذلك محاولة لمحمد السعيد الزاهيري بعنوان فرانسوا والرشيد سنة 1925، وكانت كلها مجرد محاولات افتقرت إلى التركيز والتسلسل المنطقي.

- **الصورة القصصية:** تعتبر الصورة القصصية البداية الحقيقية للقصة القصيرة الجزائرية، سعت إلى رسم صورة كاريكاتورية لشخصية ما من خلال وصفها أو السخرية منها، كما ألحت على نقد المجتمع وعاداته، والتنديد بالاستعمار ومخلفاته، ووصفت الحب والطبيعة، وغيرها من الموضوعات الرومانسية.

وأول صورة قصصية كانت (عائشة)، لمحمد السعيد الزاهيري، لتتطور بعدها شكلا ومضمونا، بحيث أصبحت تعالج مواضيع جدية، تدور أحداثها حول الاستعمار الفرنسي ومخلفاته. وقد ساهمت الصورة القصصية في تعويض النقص الذي شعر به الأدباء، على الرغم من عدم نضجها فنّيا.

4-تجربة أحمد رضا حوحو القصصية:

لقد وفدت القصة متأخرة إلى الساحة الأدبية مقارنة ببعض الأجناس الأدبية الأخرى، وعلى الرغم من ذلك، فقد استطاع رضا حوحو أن يصل إلى تطلعات الشعب الجزائري وآماله، ما جعله «ينشر مقالا بجريدة البصائر، يطلب من الكتاب أن يهتموا بكتابة القصة لهدفين: النهوض بالأدب بشكل عام، والثاني هو ما أطلق عليه التقويم الخلقي والاجتماعي»[18]، ويتمثل هذا الأخير في الحركة الإصلاحية التي قادتها جمعية العلماء المسلمين، التي كان هدفها نشر الوعي، ومحاولة تحسين الأوضاع في ظل الاستعمار.

اطّلع رضا حوحو على الثقافة العربية الإسلامية، وألمّ بخصائص الثقافة المعاصرة، المدوّنة باللغتين العربية والفرنسية. ولقد ساهمت ظروف نشأته الاجتماعية على تنويع مشاربه الثقافية، فإقامته في الحجاز جعلته يدرك قيمة الأدب ودوره في تطوّر الفرد والمجتمع، فأهدى مجموعته القصصية "صاحبة الوحي وقصص أخرى" إلى كل أديب يفني نفسه ملاذه الفكرية، ويعيش في متعة الحيرة والألم...إلى الأديب. كما عبّر عن مجموعة من القضايا الأدبية والاجتماعية، التي جسدها في موضوعات مختلفة نشر بعضها في كتابه مع الحمار الحكيم 1935، ونماذج بشرية 1955.

لقد شنّ رضا حوحو في معظم أعماله حربا على الممارسات المتطرفة، التي تشوّه العقيدة والأخلاق من خلال شخصيات أعماله، التي ثارت على كل مبتذل ومتعارف عليه في فن القصة القصيرة التي «أبدع فيها حوحو ولم يقلّد، وجدّد ولم يحافظ، وتحرر ولم يحن إلى ما غبر من المذاهب الأدبية أو قدم من العهود الزمنية»[19]. وبدى ملما في كتاباته النقدية بالثقافة العربية، وبالأصول الفنية للأشكال الأدبية، وبخاصة القصة والمسرحية، كما تطرق إلى كتابات بعض رواد الأدب العربي الحديث، كطه حسين، والمازوني بالنقد والتحليل.

وقد استمد رضا حوحو ثقافته الأدبية من قراءته للأدب الحديث، وبخاصة الأدب الفرنسي الذي ظهر في عصر النهضة أمثال: فيكتور هيغو، ولامارتن، ولابروير فقد تجلت بعض ملامح الكتابة التي اشتهر بها فيكتور هيغو كالوصف والاهتمام بالبيئة التي تنوعت في قصصه بين البيئة الجزائرية والحجازية (غادة ام القرى)، وبين البيئة الثقافية والفرنسية، والذي صرّح قائلا: «قرأت الفقراء لهيغو، وكانت نفسه البائسة تطالعني من بين السطور تقطر حيرة وألما، وما هي إلاّ فترة حتى اختلطت حيرتي بحيرته وآلامه بآلامي، فأسرعت أكتب للفقراء بالعربية ما كتبه عنهم هيغو بالفرنسية»[20]. ويتجلى تأثره بأدب لابروير من خلال المقارنة بين كتابه "الطبائع" ومجموعة رضا حوحو "نماذج بشرية"، فكلاهما تعالج موضوع حول النماذج البشرية الشاذة، والفساد الاجتماعي من خلال رسم هذه النماذج، بالإضافة إلى استعمال السخرية. كل هذه المصادر كان لها الأثر الكبير في توجه رضا حوحو إلى الأدب الإصلاحي، وبالتالي تكوين شخصيته الأدبية.

كتب رضا حوحو في عدّة أشكال أدبية، عبّر فيها عن آرائه وأفكاره منها، المقال والقصة والمسرحية، ولكن القصة القصيرة هي التي نالت الحظوة عنده، صوّر فيها موضوعات مختلفة منها: موضوع الإصلاح الاجتماعي، ومعاناة المرأة، هذا الأخير الذي تجسد في "غادة أم القرى" التي ركّزت على المرأة الحجازية، لإقامته في الحجاز، ولكن أحداثها دارت في الجزائر لتعكس حالة الشعب الذي كان يعيش تحت وطأة الاستعمار الظالم والغاشم.

مراجع المحاضرة:

*محمد أحمد ربيع وسالم أحمد الحمداني، دراسات في الأدب العربي الحديث (النثر).

*عبد المالك مرتاض، القصّة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.

*شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة 1947-1985، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998.

*عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ط5، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.

*عبد القادر بن سالم، مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الجديد، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2001.

*الأعرج واسيني، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

*أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2001.

*حسن بحراوي، بنية الشكل السردي (الفضاء، الزمن، الشخصيات)، ط1، الدار البيضاء، 1986.

*لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ط1، دار النهار للنشر، بيروت-لبنان.